

الى الرئيس لحود

نصرى سلهب

٢٠٠٠/١٢/٢٠ النهار

"تاك اكثـر من جنـية، تاك غـلطة" ، C صـun crime، est plus c صـun faute

هذه الكلمات هي لتليـران Rand aaley خـارجـية فـرنسـا في عـهـدـي نـابـولـيونـ الأولـ وـلـوـيـسـ السـادـسـ عـشـرـ ، وـلـقـدـ قـالـهـاـ عـلـىـ اـثـرـ اـغـتـيـالـ دـوقـ دـانـغاـنـ الـذـيـ خـطـفـهـ "رـجـالـ" نـابـولـيونـ مـنـ أـرـضـ غـيرـ فـرـنـسـيـةـ وـسـاقـوهـ إـلـىـ فـرـنـسـاـ حـيـثـ حـوكـمـ صـورـيـاـ وـحـكـمـ بـالـاعدـامـ وـنـفـذـ فـيـ الحـكـمـ بـسرـعـةـ مـذـهـلـةـ.

وفيـماـ كـانـ بـعـضـ السـيـاسـيـينـ وـمـنـهـ تـلـلـيرـانـ - يـسـتـعـرـضـونـ ذـلـكـ الـحـدـثـ، قـالـ اـحـدـهـ: "تـاكـ جـنـيةـ" ، فـانـبـرـىـ تـلـلـيرـانـ يـقـولـ: "تـاكـ اـكـثـرـ منـ جـنـيةـ. تـاكـ غـلـطـةـ". هـذـهـ الـوـاقـعـةـ ذـكـرـتـنـيـ - مـعـ حـفـظـ النـسـبـ - بـمـاـ جـرـىـ لـ "الـنـهـارـ" وـلـرـئـيـسـ تـحـرـيرـهـ. مـنـذـ بـضـعـةـ اـيـامـ جـرـتـ فـيـ لـبـانـ مـحاـوـلـةـ لـاغـتـيـالـ الـحـرـيـةـ فـيـ شـخـصـ اـنـسـيـ الـحـاجـ. وـمـنـ حـسـنـ حـظـ لـبـانـ اـنـ الـمـحاـوـلـةـ بـاعـتـ بالـفـشـلـ".

ليس مقالـيـ هـذـاـ دـفـاعـاـ عـنـ اـنـسـيـ الـحـاجـ، فـلـقـدـ خـرـجـ مـنـ تـاكـ الـتـجـربـةـ كـبـيـرـاـ. وـلـاـ عـنـ "الـنـهـارـ" لـأـنـهـ اـزـدـادـتـ اـشـرـاقـاـ وـوـهـجاـ. وـلـاـ عـنـ الـحـرـيـةـ لـأـنـ الـحـرـيـةـ تـعـبـ مـنـ صـلـبـهـاـ عـنـاصـرـ خـلـودـهـاـ.

وانـماـ مـقـالـيـ دـفـاعـ عنـ رـئـيـسـ الـدـولـةـ، العـمـادـ اـمـيلـ لـحـودـ نـفـسـهـ. ذـلـكـ انـ الرـجـلـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ مـنـ يـنـقـذـهـ مـنـ نـفـسـهـ. فـنـحنـ، فـيـ صـدـدـ ماـ جـرـىـ، اـمـامـ وـاحـدـ مـنـ اـحـتمـالـيـنـ: اـمـاـ اـنـ الـاـمـرـ جـرـىـ بـمـعـرـفـتـهـ، فـتـاكـ جـنـيةـ. وـاـمـاـ بـغـيـرـ مـعـرـفـتـهـ، فـتـاكـ اـكـثـرـ مـنـ جـنـيةـ، تـاكـ غـلـطـةـ.

منـ الشـائـعـ اـنـ الرـئـيـسـ لـحـودـ مـحـاطـ بـمـسـتـشـارـيـنـ" مـيـالـيـنـ اـلـىـ التـدـخـلـ الـمـباـشـرـ وـغـيرـ الـمـباـشـرـ بـدوـائـرـ الـدـولـةـ وـسـواـهـاـ لـاـبـلـاغـهـاـ اـمـنـيـاتـ اوـ تـوـجـيهـاتـ اوـ اوـامـرـ... اوـلـنـكـ "المـسـتـشـارـوـنـ" مـعـرـوـفـوـنـ، عـادـةـ "بـالـاشـبـاحـ".

تـاكـ العـادـةـ - عـادـةـ التـدـخـلـ فـيـ الـظـلـمـ اوـ الـعـلـنـ - درـجـ عـلـيـهاـ "الـشـبـابـ" فـيـ عـهـدـ الرـئـيـسـ فـؤـادـ شـهـابـ، رـحـمـهـ اللهـ. وـ"الـشـبـابـ"ـ، فـيـ عـرـفـ ذـلـكـ الزـمانـ، كـانـتـ تـعـنـيـ عـنـاصـرـ "المـكـتبـ الثـانـيـ"ـ الـذـينـ بـلـغـواـ، فـيـ ذـلـكـ الـعـهـدـ، أـوـجـ النـفـوذـ وـالـسـلـطـانـ. غـيـرـ انـهـ - ايـ "الـشـبـابـ"ـ - فـيـ نـهـاـيـةـ الـمـطـافـ، الحـقـواـ بـالـرـئـيـسـ شـهـابـ نـفـسـهـ وـبـالـشـهـابـيـةـ ضـرـرـاـ مـعـنـيـاـ بـلـيـغاـ.

فعـنـدـمـاـ فـازـ سـلـيمـانـ فـرـنـجـيـةـ بـالـرـئـاسـةـ ضـدـ الـيـاسـ سـرـكـيـسـ رـحـمـهـ اللهـ الـاثـتـيـنـ، دـقـتـ اـجـرـاسـ الـكـنـائـسـ فـيـ لـبـانـ لـاـ اـحتـفـاءـ بـفـوزـ فـرـنـجـيـةـ، وـلـاـ نـكـيـةـ بـالـيـاسـ سـرـكـيـسـ شـخـصـيـاـ، بلـ فـرـحاـ وـابـتـهـاجـاـ بـنـهـاـيـةـ "امـبرـاطـوريـةـ"ـ المـكـتبـ الثـانـيـ. وـلـوـحـظـ اـنـ اـلـجـرـاءـ اـتـخـذـتـهـ حـكـومـةـ الرـئـيـسـ صـائبـ سـلـامـ، فـيـ اـلـوـلـ جـلـسـ مـجـلـسـ وزـرـاءـ لـهـاـ، هوـ حـلـ المـكـتبـ الثـانـيـ، وـنـفـيـ مـعـظـمـ ضـبـاطـهـ اـلـىـ اـقـاصـيـ الـاـرـضـ.

ويـجـمـعـ الـمـحـلـلـوـنـ السـيـاسـيـوـنـ عـلـىـ اـنـ "دـعـمـ"ـ المـكـتبـ الثـانـيـ لـلـيـاسـ سـرـكـيـسـ كانـ السـبـبـ الرـئـيـسيـ لـفـشـلـهـ. فـيـ الـوـاقـعـ اـنـ الرـئـيـسـ فـؤـادـ شـهـابـ، رـحـمـهـ اللهـ، اـنـتـخـبـ رـئـيـساـ لـلـجـمـهـورـيـةـ عـامـ ١٩٥٨ـ، عـادـةـ الـاـحـدـاتـ الغـنـيـةـ عـنـ التـعرـيفـ، فـتـسلـمـ مـهـمـاتـ الـحـكـمـ، ضـعـيفـاـ، اـذـ اـنـ التـيـارـ مـسـيـحـيـ فـيـ لـبـانـ - المـمـثـلـ بـالـرـئـيـسـ كـمـيـلـ شـمـعـونـ وـبـالـعـمـيدـ رـيمـونـ اـدـهـ -ـ كـانـ يـنـاصـبـهـ الـعـدـاءـ بـشـكـلـ سـافـرـ.

لهذا السبب رأى الرئيس شهاب - وهو قائد الجيش الاسبق - ضرورة الاستعانة بالمكتب الثاني الذي اصبح، من جراء ذلك، الساعد اليمين للرئيس والقوة غير المنظورة التي تسانده في وجه معارضيه الشعوبين والاديين. ولقد اتضح، على مر الزمن، ان المكتب الثاني أصبح سلحاً ذا حدين، وان اضراره فاقت منافعه. يبدو، مما يشاع ويردد، ان العmad اميل لحود سلك، بصورة مبدئية الاسلوب الذي اعتمدته الرئيس شهاب. ذلك هو خطأ الكبير... حتى لا نقول غلطته الكبيرة.

ان الرئيس لحود، خلافاً للرئيس شهاب، وصل الى الرئاسة قوياً، بل قوياً جداً. كان، قبيل انتخابه، محاطاً بهالة كبرى جعلت الشعب اللبناني - الا قلة قليلة منه - يرحب به ويتوسم فيه الخير العميم، عاكداً عليه كبرى الآمال. وعندما القى خطاب القسم قفز الى القمة. فضلاً عن الدعم السوري المطلق الذي حظي ولا يزال يحظى به. فهو لم يكن بحاجة للاجهزة، ولا "اللاشباج" ولا شيء من ذلك.

فللرجل ميزات وموافق تتبع من ذاته جعلته وتجعله يتمتع بصدقية كبرى وينعم بتقة الكثرة الكثيرة من اللبنانيين. فماذا دهاء؟ اتراء، من حيث لا يدرى ولا يريد، قد غدا اسير الاشباج؟! اترى تلك الاشباج قد اصبحت عنده ذات نفوذ لا قبل له برده؟!

والا كيف نفسر ما جرى لـ "النهار" ولانسي الحاج بالذات؟ فالرئيس لحود، في رأي عارفيه، رجل شرف. فكيف اجاز ما جرى وقد سبق له واعلن انه سوف يكون، هو شخصياً، ضمان الحريات في لبنان، وانه لن يسمح باساءة معاملة صحافي من اجل رأي يُديه؟ ليس سهلاً عليَّ ان افتح بان الرئيس لحود يتذكر لعهد قطعه.

ولهذا السبب اقول له، بكل محبة وبساطة: "يا فخامة الرئيس. كن من انت لا ما يراد لك ان تكون. كن حامي الحريات. كن ضماناً لكرامات. كن أباً لجميع اللبنانيين، بقطع النظر عن ميلهم، وموافقهم...". ليكن لبنان، بالنسبة اليك، عائلة كبرى ترعاها بالمحبة والعطف. أنت من قلب الاحقاد والضغائن، فهي ليست من خلقك. تصالح مع كل لبنان.

ولا تسمح ل احد، مهما عظم شأنه، ان يعتدي على الحريات. واذكر كلام السيد المسيح لرسله: "من اراد ان يكون فكراً فليكن خادم الكل".